آفاق الحضارة الإسلامية، أكاديمية العلوم الإنسانية والدراسات الثقافية
السنة ٢٢، العدد ٢، خريف وشتاء ١٤٤١ هـ.ق، ١١٣-١٣٥

موتيف الوطن في شعر حازم رشك التميمي

ديوان *الأحرف المشبهة بالمطر* نموذجا

مريم غلامي*

رقيه رستم بورملكي، انسيه خزعلي***، عواد كاظم لفتة الغزي*****

الملخص

يشكّل الوطن هاجسًا كبيرًا في التكوين العاطفي للإنسان؛ والعراق فقد كان ومازال يعاني من الحروب والاحتلال، والشاعر العراقي كان ومازال يطالب بالمحافظة على الهوية الوطنية والخصوصية الثقافية، بشكل يضمن الانتماء الذاتي والحضاري للمواطن. ولا يستثنى الشاعر العراقي المعاصر حازم رشك التميمي عن بقية الشعراء، ذلك لأنّ الوطن عنده هو شعور وارتباط عاطفي ووجداني يتدفق من أعماقه عبر فمه على هيئة كلام بليغ ذي لحنٍ ووقعٍ كبير على نفس المتلقي. أصبح الوطن موتيفًا في ديوان الشاعر، والموتيف هو موقف أو حدث قصصي أو فكرة أو صورة نمطية مما نجده ماثلًا ومتكررًا في شتّى الأعمال الأدبية والحكايات الشعبية

* طالبة الدكتوراه، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب، جامعة الزهراء، طهران، ايران، M.gholamy@alzahra.ac.ir

** أستاذة مشاركة، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب، جامعة الزهراء، طهران، ايران (كاتبة مسؤلة)، R.rostampour@alzahra.ac.ir

*** أستاذة، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب، جامعة الزهراء، طهران، ايران، E.khazali@alzahra.ac.ir

**** أستاذة قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب، جامعة ذي قار، ذي قار، العراق، Awad.aa988@gmail.com

تاريخ الوصول: ١٣٩٨/٠٩/٠٤، تاريخ القبول: ١٣٩٨/١٢/١٥

Copyright © 2018, IHCS (Institute for Humanities and Cultural Studies). This is an Open Access article distributed under the terms of the Creative Commons Attribution 4.0 International, which permits others to download this work, share it with others and Adapt the material for any purpose

والاساطير. تهدف هذه الدراسة إلى إضاءة جانب فني من ديوان *الأحرف المشبهه بالمطر* لحازم رشك. وقد اختارت الدراسة منهجًا نقديًا يجمع بين الوصف والتحليل، حيث تصف الموتيف معتمدًا على الدراسات السابقة، ثمّ تقوم بالتحليل الفني للنماذج الشعرية الدالة على موتيف الوطن في ديوان الشاعر. والدراسة تصل إلى نتائج أهمها: أنّ معاناة العراق أدّت إلى أنْ يبرز حازم رشك الوطن في قصائده بروزًا واضحًا؛ حيث ظهرت صورة الوطن عنده ممزوجة بالحزن والألم والمعاناة وهذا انعكاس للواقع الّذي يعيش فيه الشعب العراقي. كما ظهر أنّ نص الشاعر الشعري يعمل على استبطان وتكثيف جملة من القضايا الوطنية ويعالجها عبر مربع الوطن، وأضلاعه الأربعة هي المدن، والشعب، والدين والحكام العراقيون.

الكلمات الرئيسة: الموتيف، الوطن، الشعر السياسي، حازم رشك التميمي.

١. المقدمة

١.١ مسألة البحث

إنّ الأدب مرآة المجتمع، حيث كان خير معبّر عن المجتمع وخير مصور له ولمضامينه منذ القدم إلى يومنا هذا؛ إذًا لايقتصر دور الأدب ولاسيّما في العصر الحديث على الثقافة والتسلية والخيال خاصةً، بل تعدّى ذلك إلى أنْ طرق أبواب الواقعية الّتي يعيش فيها المجتمع، أهمّها الظروف السياسية والاجتماعية في العالم، والحركات الاحتجاجية ضدّ سياسات القمع والاستبداد والأنظمة الفاسدة. أمّا الشعر السياسي فهو أغاني مليئة بحبّ الوطن عامرة بالتضامن مع المواطنين؛ صوت يريد خلق حركة تمرّد من أجل الحرية والعدالة والديمقراطية والعيش الكريم. غايته النهوض لإحداث تغيير شامل للواقع، فهو زلزال يغيّر خارطة الزمان، ويقلّب المفاهيم والأفكار في المجتمعات.

إنّ الظروف الاجتماعية والثقافية والسياسية في العالم بشكل عام وفي العراق بشكل خاص تؤثر في الحركات الشعرية ودخول الأفكار الخاصة في الأدب. تجاوب كثير من الشعراء ومنهم الشعراء العراقيون مع شعوبهم ليصبحوا صوتهم المدوى في مطالبهم الوطنية، وسر نجاحهم لم

يكن مضامينهم الشعرية فقط، بل أسلوبهم الفنى والموتيفات الّتي استخدموها لها عظيم الأثر في ايقاظ الشعب وانتشار حب الوطن بين الشعب.

تُعرّف كلمة موتيف بأنّها الجزء المتكرر والمستمر الحامل لمعنى أو قيمة ثقافية، والّذي يدخل في تكوين الشكل أو المحتوى لمختلف أنواع الإنتاج الثقافي. إذًا الموتيف هو فكرة أو موضوع أو مفردة أو جملة أو تعبير يتكرّر في العمل الأدبي. إنّ الموتيف يعتبر موضوعًا جديدًا في الأدب ولاتعود الدراسة حوله إلى زمن بعيد، لكنّ المحاولات الأولى في هذا المضمار غربية؛ فأوّل من قام بدراسة الموتيف كان استيت تامسون الإمريكيّ حيث كانت دراسته هذه على نطاق معجم الموتيفات في الأدب الشعبي في كتابه *الحكاية الشعبية* عام (١٩٤٦م).

يعدّ الشاعر حازم رشك التميمي من شعراء العراق الوطنيين الّذين يغنون بالوطن وحبّه، ويحاولون ازالة الظلم عنه وعن الشعب. لقدعبّر حازم رشك الشاعر العراقي الوطني عن الوطن بمفردات وأفكار عديدة بلغته الموحية تتميز باستخدام الموتيف، حتّى استطاع من خلاله أنْ ينال إعجاب المتلقي. فقد يعدّ موتيف الوطن عند الشاعر من الظواهر الفنية البارزة في قصائده وقد تتنوّع مظاهره حسب الحالة النفسيّة والشعوريّة الّتي يشعر بها الشاعر أثناء لحظة تجربته الشعرية. فكانت قصائده تدور حول محور الوطن، حيث يمتزج الخيال والواقع ليصور الوطن خير تصوير موظفًا الفكر والصور المختلفة في قالب المفردات والتراكيب المكرّرة لبيان ما يتخلج في وجوده من حبّ الوطن.

تهدف هذه الدراسة إلى محاولة التعرف على طبيعة هذه الظاهرة أي الموتيف وكيفية بنائها وصياغتها وتركيبها، وإلى أيّ مدى استطاع الشاعر أنْ يوفق في بنائها ليجعل منها أداة فاعلة داخل النص الشعري وأنْ يوظفها توظيفًا دقيقًا لتصبح أداةً جماليةً تحرك فضاء النص الشعري وتنقله من السكون إلى الحركة والموسيقى. كماتحاول الدراسة التعرف على محاور موتيف الوطن وأنماطه عند حازم رشك الّتي تمثلت أبرزها في مربع أضلاعه موتيف المدينة وموتيف الشعب وموتيف الدين، وموتيف الحكام؛ ودور هذه المحاور في بناء الجملة على اختلاف أشكالها عند الشاعر، وإلى أيّ مدى كانت هذه المحاور قادرة على تكوين سياقات شعرية جديدة ذات دلالات قوية ومثيرة لدى المتلقي الّتي تعمل على جذب انتباهه وشده ليعيش داخل الحدث

الشعري الّذي يصوره الشاعر. وترجع أهمية هذه الدراسة؛ إلى الأهمية المكانية والّتي تتمثّل بخصوصية العراق كموقع لهذه الدراسة ولما تشكله هذه المنطقة من أهمية استراتيجية، وأهمية زمانية تتمحور في العصر المعاصر وما تجري فيه من الأحداث في المجتمع العراقي. كما تكسب هذه الدراسة أهميتها من الكشف عن موتيف الوطن في شعر الشاعر العراقي حازم رشك التميمي آملًا بانجازها أنْ تسهم في إنصاف الشاعر من جهةٍ، والقاء الضوء من جهةٍ أخرى على شعره من زاوية نقدية لتكشف عن موتيف الوطن في شعر الشاعر.

٢.١ أسئلة البحث

تحاول هذه الدراسة أنْ تتناول موتيف الوطن في أشعاره، مستخدمةً المنهج الوصفي – التحليلي حيث لا تقف الدراسة عند توصيف الموتيف فقط، بل تتجاوز ذلك إلى عملية التحليل ودراسة الشواهد الشعرية؛ لتجيب عن أسئلتين وهما:

ـ لماذا وظّف الشاعر موتيف الوطن في أشعاره؟

ـ كيف يتمّ تقديم الوطن ودوره الوظيفي في أشعار حازم رشك التميمي؟

٣.١ خلفية البحث

ومن أهمّ الدراسات الخصبة في الموتيف يمكن الاشارة إلى دراسة عنوانها *معجم موضوعات الأدب العالمي* لكاتبها استيت تامسون في أواخر الستينات من القرن العشرين. ثمّ تليه دراستان من اليزابت فرنزيل الألمانية في كتابيه *مضامين الأدب العالمي وموتيف الأدب العالمي*. أمّا في عالمنا اليوم فأُخذ الموتيف بعين الاعتبار فى المجتمعات الأروبيّة عنصرًا نشيطًا فى نقد الأعمال الأدبيّة وتحليلها.

أمّا الدراسات العربية فقد تنحصر في عدة دراسات؛ منها: كتاب *الموتيف في الأدب الشعبي والفردي* (٢٠١٢م)، لمؤلفه سليمان العطار، درس فيه مفهوم الموتيف وابعاده، بالنسبة إلى الادب الشعبي والفردي، مبينًا أنّ مصطلح الموتيف، انتقل إلى التصوير والموسيقى والمعمار

والزخرفة، إذْ إنّه في التصوير، يقصد بكلمة "موتيفة" اللون أو الرسم المفرد أو المتكرر. ويشير الكاتب إلى أنّه في لغة الأدب ايضًا نلتقي مع كلمة الموتيفة. ويقدم المؤلف مثالًا على ذلك بموتيفة "موت الأب" عند نجيب محفوظ، ومثال يشير إلى ما حدث في السيرة الشعبية لـ الزير سالم، وسيف بن ذي يزن.

أمّا المقالات في الموتيف، فمنها: مقالة عنوانها *موتيف الامام حسين* (ع) *في شعر فاروق جويدة* (٢٠١٥م)، لكاتبها نعيم عموري درس فيها حضور الامام الحسين (ع) في شعر الشاعر فاروق جويدة؛ ومقالة عنوانها *موتيف الإغتراب في شعر يحيى السماوي* (٢٠١٢م)، لكاتبها رسول بلاوي درس فيها ظاهرة الاغتراب في أشعار الشاعر يحيى السماوي؛ ومقالة *موتيف النهر والبحر في شعر يحيى السماوي* (١٣٩٢ش)، لكاتبتها مرضية آباد درست فيها حضور النهر والبحر في أشعار يحيى السماوي.

أمّا الدراسات الفارسية فنشير إلى مقالة *موتيف چيست و چگونه شكل مى گيرد* (١٣٨٨ش) كتبها محمد تقوي وإلهام دهقان، وقام الباحثان فيها بتعريف الموتيف اللغوي والاصطلاحي، ووظيفته في عالم الأدب وتحليل الأعمال الأدبية ثمّ ساقا الكلام إلى صلته بمصطلحات متشابهة معه. ومقالة عنوانها *موتيف وگونه‌ها وكاركردهاى آن در آثار داستانى صادق هدايت* (١٣٨٨ش) لكاتبتها إلهام دهقان، درست فيها الموتيف وأنواعه و وظائفه فى أعمال صادق هدايت القصصية، حيث توظّف الباحثة الموتيف في قصص صادق هدايت واقفة على أضرابه مثل الموتيف الواعي والعشوائي، والموتيف الفني والتمثيلي، وموتيف الفكرة والعاطفة؛ ثمّ تشير إلى علاقته بسائر العناصر الشعرية.

تشهد دراسات الموتيف غيابًا ملحوظًا في فضاءات النقد العربي المعاصر لأسباب عدة، من أهمها ندرة المصادر والمراجع بالعربية؛ فإنّ هذه الدراسة ستسعى إلى المزاوجة بين التنظير والتطبيق، وقد تمّ اختيار دراسة أشعار الشاعر حازم رشك التميمي، لوجود نوع من التنفيس الشعري عن قضية الوطن والنصر والوحدة المفقودة والمنشودة، وحضور ما تزخر بها قصائده من التقنيات والحيل الفنية بالإضافة إلى أسلوب الشاعر الرائع في اختياره الألفاظ والتراكيب. وكما يلاحظ لم نعثر على دراسة تتعلق بموتيف الوطن في أشعار الشاعر العراقي حازم رشك التميمي.

٢. المفاهيم والتعاريف

١.٢ الموتيف لغةً واصطلاحًا

الموتيف لغةً تعني «الحركة، الإثارة، الإلحاح والدافع. وهو في الأدب يعني الفكرة الرئيسة أو الموضوع الّذي يتكرّر في العمل الأدبي، أو المفردة المتكررة، أو الحافز والباعث. تستخدم كلمة الموتيف في فنون وعلوم مختلفة، منها: الرسم والنحت والهندسة والمعمارية والموسيقى والحياكة والخياطة والتصوير والأدب». (طه،٢٠٠٤: ٢٠٨) وقد تعرف كلمة موتيف بشكل عام بأنّها «الجزء المتكرر والمستمر الحامل لمعنى أو قيمة ثقافية، والّذي يدخل في تكوين الشكل أو المحتوى لمختلف أنواع الإنتاج الثقافي». (الشامي، ٢٠٠٧: ٢٩)

والموتيف قد يجلو لفظة وقد يكون فكرة أو صورة تتكرّر في الإنتاجات الأدبية ويشتمل على رافد أساسي تتبدّل فيه أشكاله ومركباته، ويرتبط بالإلحاح على قضيّة تشغل الذهن. (نقلًا من آبراهامز،١٩٩٩: ١٦٩) يقوم الموتيف على تكرار تعكس زاوية من المواقف الذاتية والإنفعالية، غير أنّ كل تكرار لابدّ من أنْ يملك في ثناياه دلالات نفسية وتأثرية مختلفة على أساس السياق النصي، ولولا ذلك لكان تكرارًا بحتًا لمجموعة من أشياء لاتضطلع بمعنى أو وظيفة في هيكلة النص؛ لأنّ التكرار أحد أدوات جمالية تجعل الأديب يقدر على ترتيب موقفه وتصويره؛ فمن المحتمّ أنْ يعتمد التكرار على مضمون كامن وإلّا يغدو هذا مجرد حشو.(المنصور، ١٤٢١: ١٣٠٤) وقد تتكرّر كلمة ما في النص بصورة ملفتة، غير أنّ تكرارها لا يعني شيئًا كثيرًا لأنّ طبيعة الموضوع تقتضي ذلك. (شبلنر، ١٩٩١: ٧٠) الموتيف قد يكون كلمة (فعلاً أو اسماً أو حتّى أداة)، وقد يكون فكرة أو جملة أو تعبير يتكرر في مرحلة ما، عند شاعر محدد، أو شعراء مرحلة، أو يصبح لازمة تتكرر في فترة تاريخية معينة. (طه، ٢٠٠٤: ٢٠٧) فالموتيف إحدى الأدوات الجمالية التي تساعد الشاعر على تشكيل موقفه وتصويره في إثراء الدلالات والبناء الشعري.(عموري، ١٤٣٦: ٥٩٣) إذًا كما يرى ربابعة إنّ الموتيف يعتمد في طبيعته على الإعادة لقوالب لغوية متنوعة ومختلفة في إيقاعها وطاقاتها الإيحائية التي تعتمد على اللغة الشعرية ذات الدلالات والطاقات المميزة عن لغة النثر. (ربابعة، ١٩٨٨: ٥)

٢.٢ الموتيف وجذوره العربية

تتشكل ظاهرة الموتيف في الشعر العربي بأشكال مختلفة متنوعة فهي تبدأ من الحرف وتمتد إلى الكلمة وإلى العبارة وإلى بيت الشعر وكل شكل من هذه الأشكال يعمل على إبراز جانب تأثيري خاص للموتيف. (أنيس، ١٩٧٨: ٨) وتشير نازك الملائكة إلى الموتيف في الشعر العربي وبينت أنّ «التكرار في ذاته ليس جمالاً يضاف إلى القصيدة وإنما هو كسائر الأساليب في كونه يحتاج إلى أنْ يجيء في مكانه من القصيدة وأنْ تلمسه يد الشاعر تلك اللمسة السحرية الّتي تبعث الحياة في الكلمات، لأنّه يمتلك طبيعة خادعة فهو على سهولته وقدرته في إحداث موسيقي يستطيع أنْ يضلل الشاعر ويوقعه في مزلق تعبيري، فهو يحتوي على إمكانيات تعبيرية تغني المعنى إذا استطاع الشاعر أنْ يسيطر عليه ويستخدمه في موضعه وإلّا فإنّه يتحول إلى مجرد تكرارات لفظية مبتذلة.»(الملائكة،١٩٨٩: ٢٦٣) كما أشارت إلى أنواع التكرار وحصرتها في تكرار الكلمة والعبارة والمقطع والحرف وترى أنّ أبسط أنواع التكرار هو تكرار كلمة واحدة في أول كل بيت من مجموعة أبيات متتالية في قصيدة، وهو لون شائع في شعرنا المعاصر، يلجأ إليه صغار الشعراء ولا يعطيه الأصالة والجمال إلّا شاعر موهوب حاذق يدرك المعول لا على التكرار نفسه وإنّما ما بعد الكلمة المكررة.(نفس المصدر، ٢٦٨)

٣.٢ دور الموتيف في الأدب

يقوم الموتيف بمساعدتنا في فهم الشاعر عندما يتطرق إلى القضايا أو الأفكار التي تتفاعل في ذهنه ومخيلته. فإنْ وجد الموتيف وتمّ استخدامه من قبل شاعر ما، إنّما يستخدمه في إيضاح تلك العلاقة الحميمة والتلاحم الكبير بين هذه الصور والمعاني من جانب وبين الواقع النفسي وتوجهاته وآرائه من جانب آخر. كما أنّ الشاعر باستخدامه للموتيف يقوم بضخ ما يتراكم في داخله وما يعتمل في مكنون صدره، وبذلك قد قام بتفريغ الشحنات الّتي يتطاير القدح منها إثر تصادمها بين أضلاعه تنفيسًا وتخليصًا. لا يخفى أنّ الفكرة أو الصورة أو الرمز عندما تكون ذات أهمية قصوى عند الشاعر، يقوم بتكرار تلك الفكرة أو الصورة أو الرمز. ثمّ «تبدأ له من تراث إنساني وروحي، وكأنّك تحس بها قد أغلقت دونه كلّ طريق، فحيثما اتجه يمثلها

هنـاك، فـإذا هـو أغلـق نفسـه دون الأشـياء، اصـطدم بهـا كـذلك في أعمـاق نفسـه». (اسماعيل، ١٩٧٢: ١٦٦) ثمّ يروح يقولبها ويمدّها بشرايين جديدة، تعطيها القوة والحيوية والألق، وتحقق لها حضورها وفاعليتها.

٤.٢ نبذة عن الشاعر حازم رشك التميمي

الشاعر العراقي حازم رشك التميمي شاعر ملأ فضاءات الشعر العربي الحديث بشعره المجيد. ولد (١٩٦٩-) في مدينة الناصرية في جنوب العراق وهي تشتهر بالأدباء والشعراء والمغنين إضافة لذلك تشتهر بالدواوين الأدبية ومجالس الطرب. عاش طفولته بين أشجار النخيل وماء الفرات واللعب الشعبية.

بدأ كتابته الأولى في المرحلة المتوسطة، وبعد ذلك بدأ يكتب القصيدة العمودية مضبوطة لغةً ووزناً. بعد ذلك احتضنه أحد الأساتذة في مرحلة الإعدادية وكان له الفضل الكبير، ثمّ توجه إلى دراسة اللغة العربية بكلية الآداب جامعة بغداد، عام (١٩٨٨م)، وتخرج منها عام (١٩٩١م) ثمّ التحق بماجستير اللغة العربية والآن يدرس دكتوراه في الجامعة اللبنانية في النحو القرآني الدلالي.

له من الإصدارات ديوانان هما: *ما رواه الهدهد و ناعية القصب* وديوانان مخطوطان *مدينة التراب والزيرجد والأحرف المشبه بالمطر*، بجانب مسرحيتين مخطوطتين هما: *في كتاب الماء يا قمر الشريعة و هادى سجون* والكثير من الأشعار. وهو يقول في خصوصية الشعر العراقي: «الشعر في العراق مثل الهواء يتنفس ومثل الحب ومثل الليل والنهار يتعاقبان سرمديان. والشعر في العراق متجدد دائمًا ولا يقف ساكنًا». (حاشوش، ٢٠١٥: ٤)

٣. القسم التحليلي

١.٣ موتيف الوطن في شعر حازم رشك التميمي

إنّ الأساس في الموتيف هو التكرار، تكرار الفكرة أو المفردة أو المصطلح في أدب الكاتب أو الشاعر؛ لأنّ الموتيف قد يكون كلمة فعلاً أو إسمًا أو أداةً، وقد يكون فكرة أو جملة أو تعبير

يتكرر في مرحلة ما، عند شاعر أو كاتب محدد. (بلاوي وآخرون، ٢٠١٢: ٧٨) إذًا يعدّ موتيف الوطن عند حازم رشك صورة لافتة للنظر، تشكلت في ديوانه *الأحرف المشبهه بالمطر* ضمن محاور متنوعة، وقد ظهر تفي شعره بشكل واضح تجعل القاريء والمستمع يعيش الحدث الشعري المكرر وتنقله إلى أجواء الشاعر النفسية. إنّ مربع العراق بمدنه وشعبه ودينه وحكامه يحظى بمكانة خاصة في شعر حازم رشك؛ حيث كرّر الشاعر الوطن وعاصمته وضواحيه مثل البصرة، وذي قار و... عدة مرّات في قصائده حتّى أصبحت موتيفًا، محاولًا تقديم صورة عن الوطن وما يجري فيه من الأحداث السياسية. ثمّ يهتمّ بالشعب العراقي كالضلع الثاني لمربع العراق محاولًا إيقاذهم من الغفلة؛ وبعد ذلك ينشد عن الدين وهو كضلع أساسي في مربع العراق، الضلع الّذي يحاول العدو دائمًا أنْ يتسرّب منه ويحرّك الشعب ضد الشعب. أمّا الضلع الأخير هو الحكام وقادة الوطن الّذين ضيعوا الوطن بأقل ثمن، حيث يوبخهم ويلومهم بسبب عدم كفاءتهم في ادراة الوطن.

١.١.٣ العراق والمدن

فقد يتجلى العراق بكلّ تضاريسه في شعر حازم رشك ولم يعدّ العراق في هذا الخطاب الشعري مكاناً فحسب؛ بل يصبح هو الموضوع والمسرح وبؤرة الحدث الشعري وفضاء التشكيل، حيث يوظّفه الشاعر في صورة ابداعية بالركون إلى الماضي لينتقد به؛ مثلما نلحظ في قصيدته *توقيع على قصيدة أبي تمام* الوضع الراهن في العراق والمآسي الّتي يكابدها شعبه من ظلم وتعب، كما يشكو الحال إلى المعالم الرمزية مثل منارة الحدباء والأهوار، فالشاعر باستحضاره التاريخ أراد أنْ يظهر قيمة العراق التاريخية، حيث يقول:

لا السيف أصدق انباءً ولا الكتبُ / ففي العراقِ يضيعُ الجدُّ واللعب/ وليس من عجبٍ لكنّه العَجَبُ/ تخرصاً وأحاديثاً ملفّقةً/ فقد تساوى لدينا الرأس والذنب /عمّاه لو جئت للحدباء تسألها /لقال ما قال عنها ظهرُها الحَدِبُ /وليس من هزّةٍ للجذع تسعفُنا / فوق المساكين لا يسّاقطُ الرُطبُ/ ما أصدقَ الهورَ لما كان مشتعلا /وأكذبَ الهورَ لما أُحْرِقَ القَصَبُ (التميمي، ٢٠١٩: ٣٣).

فقد وظّف الشاعر موتيف العراق في هذا التشكيل الشعري وزرعه في أرض الماضي الخصب المعطاء مما يزيد من دائرة اللغة الشعرية من ناحية الإبداع ويرفده بالبثّ الإيحائي ويشحذه من ناحية الدلالة. وأوّل ما يجلب الإنتباه في هذه القصيدة هو استدعى أبي تمام قصيدته في صورة مفارقية حيث يجعل فيها الشاعر أصحاب الأرض العربية في العصر الراهن الّذين هم يركنون إلى الضعف والخوان مقابل الّذين يمثلون ذروة النخوة والشجاعة في الماضي. ففي العراق تضيع الحياة وتؤول إلى الضياع والانحطاط نتيجة رخوة شعب العراق بينما الأرض في الماضي تتبلّج فيها رايات الفرح والبهجة لكنّ العراق الآن يعاني من ترهل أصحابه وضعفهم وكلامهم الفارغ الّذي لا يجود بخير على العراق. ثمّ ينقل الشاعر عدسة الكاميرا الشعرية بعد تجسيد العراق إلى الحدباء ويجسّد ظهرها المحدوب ويجسّد ضياع النخوة العربية فيه. ففي انتفاء هزة جذع النخلة والتشكيل الشعري يتناص مع ما جاء في سورة مريم، تعبير شعري عن ضياع المكان نتيجة ضعف أصحابه كما يجسّد الشاعر في هذا التشكيل الشعري من خلال توظيف المشهد التراثي المتمثل في ما حدث لمريم وهو تساقط الرطب عن الفقر السائد في المكان؛ فالمكان يعيش حالة مزرية من الفقر نتيجة ضعف الشعب الّذين نسوا المجد العربي العريق. وفي قصيدة *موطن البرحي* يعبّر الشاعر عن العراق بموطن البرحي، يتحدث عن الاستهانة بالوطن لأنّ بقاءه وعدم بقاءه سواء عند البعض من الناس، فيشبه الوطن بالنخلة الّتي أضاعها الناس رغم النخوة الّتي أطلقتها نساءه، حيث يقول:

تبقى وتُحذفُ مثل حرفِ العلّة/ وطنٌ بلا وطنٍ ويُدعى دولة/ يا موطنَ البرحي (مريم) تنتخي/ فينا، ولكن قد أضعنا النخلة (التميمي، ٢٠١٩: ٤٨)

الشاعر يجسّد في هذا التشكيل الشعري ضياع النخلة بفعل أصحاب المكان وضياع النخلة من رموز المكان/ العراق وهي رمز يحمل دلالات مختلفة منها الخصب والنماء تعبير شعري عن ضياع الحياة في المكان وضياع نشوة الحياة والدفء والحضور في المكان نتيجة مفارقة السلوك بين أصحاب المكان ماضيًا وبين أصحابه في العصر الراهن. وفي قصيدته *بغداد* الموجهة إلى مصطفى جمال الدين يتحدث عن سوء الأحوال في بغداد الّتي غدت ساحتها ميادين للموت وحدائقها أصبحت محترقة، كما يلفت النظر إلى مياهها وعن لياليها، قائلًا:

لو كان ينهضُ من لذيذِ رقادهِ/ماذا تراهُ يَقُولُ عن بغدادهِ/عن عمرهِ المنهوبِ في ساحاتها/ وعن اشتباكِ الموتِ في ميلادهِ /وعن اصفرارِ الاخضرارِ بغصنها /وعن انطفاءِ الماءِ في إيقادهِ/ وعن الليالي وهي ألفُ مصيبةٍ (التميمي، ٢٠١٩: ٤)

يقول الشاعر لو نهض مصطفى جمال الدين من قبره، وهو يعبر عن الموت بـ "لذيذ رقاده"، كيف تصف بغداد؟ وبغداد هي وطن نهب عمره، والصراع منذ ميلاده ومازال فيه، والزوال والضعف المسيطر على بغداد، وفي لياليها هناك مصائب محاولًا بيان شدتها بذكر العدد وهنا ألف مصيبة؛ وكما يلاحظ هنا الشاعر يذكر بغداد مرة واحدة، غير أنّه يشير إلى بغداد بضمير "ها" مرتين وما نلحظه في هذا التشكيل الشعري هو المربع السيميائي للدوال الأربعة الّتي وظّفها الشاعر للتعبير عن فاعليات المكان في الماضي وانتفائها في الحاضر:

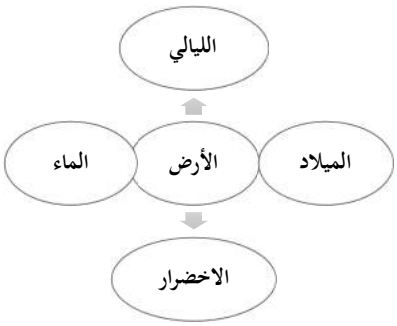

والماء في هذا التشكيل الشعري عنوان الحركة واستمرارية الحياة وهو الرمز المكاني المفتوح، والانطفاء هو من معطيات النار ويتعلق بها، وفي انطفاء الماء في هذا التشكيل الشعري الّذي يقود المتلقي إلى الدهشة ويخلخل مشاعره من خلال إسناد معطيات النار إلى ما هو ضدها وهو الماء، تعبير شعري عن ضياع الحياة في المكان وضياع الحركة فيه. والليل هو الدال السيميائي للحضور والدال المعبّر عن معاني الهدوء والحلم والسكونية. وفي التشكيل الشعري هذه الليالي تعجّ بالمصيبة والنكبات وصار الحلم فيها مجحضةً. والميلاد في هذا التشكيل الشعري هو الحياة، واشتباك الموت بالميلاد تعبير شعري عن تربص الموت بالحياة في المكان والصراع المحتّم بينهما الصراع ينتهي بضياع الميلاد وسطوة الموت. وما يلفت النظر في هذا التشكيل الشعري هو التمازج اللوني المتضاد، فاللون الأصفر في تضاد كامل مع الدال اللوني

المتمثل في الأخضر وهو لونٌ «في المرجعية الثقافية للمتلقي يرتبط بدلالات متعددة أهمها دلالات الحياة والتجديد والانبعاث». (ربابعة، ٢٠١١: ١٠٠) واللون الأصفر وهو اللون الّذي يغطي الموتى قبل موتهم دال سيميائي على معاني الموت والضياع؛ واصفرار الأخضر تعبير شعري عن الحالة المأساوية الّتي يعيش فيها المكان وهو العراق الحضاري الّذي صار ضحية الضعف والخيانة. وفي قصيدته *قيامة الكرادة* [1] يعرب الشاعر عن مشاعره تجاه حادثة الكرادة الدامية الّتي راح ضحيتها عدد كبير من العراقيين ويعمم هذه الظاهرة على كلّ العاصمة بغداد قائلًا:

بدمائنا تتزيّنُ الأعياد/ وقفٌ عليكِ الموتُ يا بغدادُ/لا لونَ في الأبوابِ لا عيديّة/ مذ غادرَ الكرّادةَ الأولادُ / ألأنّهم رطبٌ بغير أوانه/ غرس العراقيين –كان حصاد /ما خطبُ هذي النار أيُّ شهيّةٍ /فيها إليهم هكذا ليبادوا (التميمي، ٢٠١٩: ١٢)

يجسّد الشاعر في هذا التشكيل الشعري مأساة الواقع العراقي وعبثية الحياة في بغداد تحديداً حيث يصبح العراق وهكذا بغداد مشهداً للدماء والقتل والضحية. ويرمز تحوّل الفرح والبهجة المتمثلة في أجواء العيد إلى الحزن والأرق والقلق من سوء المصير. والإنسان العراقي في الأعياد والنساء لا تتزين بالحلية والمباهج الجميلة بل تتزين بالدماء ويصبح الأهل في بغداد كما يجسّده الشاعر بفعل المغادرة تائهاً متشرداً وتسوقهم النار إلى الضياع والخراب. والشاعر لم يكتف ببغداد عاصمة الوطن بل في قصيدته *الخبر الأول* يتعجب من محافظة ذي قار وما تعانيه ويعانيه أهلها من الخراب والدمار حيث تنسكب دموعها على حالها. كما يتحدث عن البصرة وسوء حالها ويمثلها بالإمام الحسين(ع) الّذي سالت منه الدماء، حيث يقول:

ليس غريبا أن أرى ذي قارْ /الخبر الأول في الأخبارْ /ليس غريبا أن ارى أهلها/ مفردةً في معجم الدمارْ/ لا وقت للدمع على حالها /فإن هذي النار تلك النار /وغير مأسوف على موتها/ مادام تاج الملك والسوار/مادامت الخضراء محميةً والعجل واليهود والخُوار (التميمي، ٢٠١٩: ٢٤)

ويجسّد الشاعر مدينة ذي قار وهي الموطن الّذي حمى بيضة الوطن أمام الهجمات الخارجية فريسة للنار الّتي تأكل جسدها وصارت في معجم الدمار؛ ثمّ يخبر عن البصرة وما

فيها من دماء الأحرار الجارية عليها، مشيرًا إلى الإمام الحسين (ع) حيث يرفع صغاره للسماء قائلًا:

ليس غريبا أن أرى بصرةً/ تملأ من دمائها الجرارْ /كم من حسينٍ بات في نحرها /يرفع للسماء بالصغار/كأنما يعلن عن طفِّهِ / وموتنا الرايةُ والشعار (التميمي، ٢٠١٩: ٢٥)

غير أنَّ الشاعر رغم تجسيد فضاءات الموت والدمار المحدقة بذي قار والبصرة، ورغم كلّ الآلام الّتي تصدم بكيان الإنسان العراقي ورغم معاناته الشاملة، يتشبّث بالأرض ولا يفقد أمله بالمستقبل ويطمح إليه فهو غير مأسوف على الواقع العراقي المعيش المتردي المتّسم بالموت والضياع ذلك لأنّه يؤمن شديد الإيمان بالحياة والنهوض. فعند الشاعر أنّ العراق أرض نبؤخذ نصر وأرض الحسين (ع) والشموخ والعزة، وأرض التضحية والفداء والشهادة المتمثلة في شخصية الحسين (ع) هي الّتي تخلد المكان وتخلد الإنسان العراقي الموجوع وهذه هي هوية الأرض عند حازم رشك وهي الّتي تقود سفينة المكان إلى شاطىء الأمان وتعيد إليه الحياة والبهجة. فقد يلاحظ بأنّ الشاعر يحاول في لوحاته الفنية أنْ يصور قدسية العراق وعلو شأن أهله، ونشاهده أنْ يطير بقلبه عبر الأبيات السابقة من مدينة إلى مدينة ومن حي إلى حي ساعيًا علو شأن الوطن الّذي ضيعه حكمائه وزعمائه.

٢.١.٣ العراق والشعب

يعتبر حبّ الوطن رمزًا وفخرًا واعتزازًا؛ واجبٌ على الشعب الدفاع عنه وحمايته بكلّ قوّة، والحفاظ عليه لعظيم ما يقدمه له من الأمن والحماية والاستقرار. وللوطن حقوقٌ كما للأم حقوق؛ يجب على كلّ الشعب أنْ يلتزم بها ما دام يعيش فيه، ويأكل ويشرب من خيراته، من خلال المحافظة عليه، وحمايته من كلّ شرّ، والارتقاء به إلى أعلى المراتب. غير أنّ الشعب العراقي لا يهتمّ بوطنه من وجهة نظر الشاعر حازم رشك التميمي، حتّى وجه الشاعر سهام نقده في الكثير من أشعاره إلى الشعب العراقي الّذي لا يحرّك ساكناً لإنقاذ الوطن ويعيش في العراق من دون أيّة اندفاعة نحو الخلاص ونحو الحرية ففي قصيدته *جناس* حينما يئس عن أهل الوطن وصّفهم بالموتى، قائلًا:

بعض الّذين أحبهم ماتوا/ أما البقية أصبحوا موتى /قد صارت الأوطان أشياء/لا شيء لكن تشبه الموتا (التميمي، ٢٠١٩: ٢٨)

يستمر الشاعر في إنتقاده للوضع السياسي الحالي، ويأسف على فقده الناس الّذين يحبهم، كما يشبه البعض بالموتى لعدم نهوضهم لانقاذ الوطن، ويعبّر عن حالة يأس من الأحياء في الأوطان الّتي صارت في عِداد الموتى؛ والموتى وصف للذين لهم الحضور المزيف في الأرض والّذين تقلدوا وسام الذلّ والهوان ورضوا من الماء بالبلل وسلّموا الأرض للسلطة الخارجية، وصار العري والهوان هو الّذي يستر أجساد الرجال ويسكن العار في نخاعهم ومن هنا يصفهم الشاعر بالموتى.

وفي قصيدته *وطن مستنسخ* يعبّر الشاعر عن الوطن الّذي يتضرر من جهل أهله وشعبه، والحكام بسبب عدم معرفتهم السياسية يضيعون الوطن، حيث يقول:

وطنٌ بأيدي أهلهِ يتفخخُ /بحسابِ موتاهُ الثرى يتأرّخُ /يمشي كما الطاووس بين لداتهِ/هم يركضونَ ووحدَهُ المتكشّخُ (التميمي، ٢٠١٩: ٥٤)

نجد الشاعر هنا يبدأ لوحته بلفت الأنظار إلى الوطن، ثمّ يشير إلى أنّ وطنه لحق به الدمار الشامل وذلك على أيدي أهله وأنّ من يقومون بالأعمال الإرهابية في داخل وطنه هم أبناء شعبه. وفي المقابل الشهداء هم الّذين يتصدون لمثل هذه الأحداث ويتباهون بالانجازات الّتي يحققونها بإستشهادهم في سبيل الذود عن حياض الوطن وأهله. إنّ الوطن أي العراق يتباهي بمفاخره بين بقية البلدان الّذين يركضون للوصول إلى العلى؛ غير أنّ وطن الشاعر وصل إلى ما وصل من العلى من قبل؛ ثمّ يقول:

مذ قيل ثائرُ قومهِ وعلى يديه / خرافةٌ أنَّ الأقاربَ بخبخوا/ لم يألُ جِلْدا كلما مروا عليه /رأوه كبشا في السياسةِ يُسلخُ/ مستودعُ الحنّاءِ أرشفه الندى/ لكنْ بغيرِ سواده لا يشمخُ/هو بيننا وطنٌ ، ولكن آخرٌ / متهالكٌ ، متقزّمٌ ، متفسّخُ/ما أضيعَ الوطنَ الّذي في بالنا /إنْ كان دفء بريدهِ يستنسخُ /سيغيبُ هدهدُ حيّنا /ويشيخُ حائط بيتنا /ويظلُّ طفلٌ يصرخ (التميمي، ٢٠١٩: ٥٥)

كما يتحدث عن غباء السياسيين وعدم درايتهم ومعرفتهم بعلم السياسة وأنّهم هم الّذين أضاعوا الوطن. يؤكّد الشاعر على عدم امكان الوصول إلى النجاح والكبرياء دون اتحاد

الشعب. وفي النهاية يعرب عن خيبة أمله لإنّ الوطن أصبح متهالكًا وذليلًا ومتجزءً والسبب هنا غياب المرشد والقائد والدليل عن ساحة الوطن، كما أنّ صرخة الطفل تظلّ مدوية في الآذان.فقد نجد هنا الشاعر يحمل في ضميره وقلبه ووجدانه همّ العراق وشعبه، بحيث انتقى له أجمل وأروع المعاني للتعبير عمّا أصابه ما ينتظره من الحرمان والظلم.

وأخيرًا حازم رشك التميمي في قصيدته لو*عاد الرسول* يشير إلى ارتحال النبي الأكرم (ص) مستحضرًا ما بذل كلّ جهده لوحدة الامّة ورصّ صفوفها، مناديًا فيهم بقول سبحانه: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعَاً وَلا تَفَرَّقُوا﴾ (آل عمران/١٠٣) وقوله سبحانه: ﴿إِنَّمَا الْمُؤمِنُونَ إِخْوَة ﴾ (الأنبياء/ ٩٢) وغير ذلك من الآيات القرآنية. وقد كان الرسول(ص) يحذِّر المجتمع الإسلامي من التفرّق والتشرذم. ومع كلّ هذه الأوامر العديدة والتحذيرات الشديدة يلاحظ أنّ المسلمين اختلفوا بعد وفاته وظهر التفرق وكثرة الأبواب والأرباب في الأمة المسلمة؛ فقد يأتي الشاعر بشرط وهو «لو عاد الرسول محمد» ثمّ يبيّن حالات الأمة العربية الّتي أصبحت زمرة وليست الأمة بعد، مستخدمًا أسماء عديدة كما يلاحظ في التالي:

الْيَوْمَ لو عادَ الرسولُ محمّدُ/ ورأى تراثَ السابقينَ يُفَرْهَدُ/ من أمّةٍ كَذِبٍ على خيباتِها/ وعلى أناشيدِ التشرذمِ تَرْقدُ/ من كثرةِ الأربابِ/ والأبوابِ/ والحجّابِ (التميمي، ٢٠١٩: ٥٢)

فقد جعل الشاعر تراث السابقين يفرهد ويمتلئ بعبارات من مثل (أمة كذب على خيباتها، وترقد على أناشيد التشرذم، والدين الحنيف مشرد) وهذا ضدّ ما كان يحلمه النبي (ص) ؛ ومن ثمّ يلجأ إلى حقل لغوي آخر مترادف في معجم الشاعر وهو: (الأرباب، الأبواب، الحجّاب) فالشاعر يشير بهذه الكلمات الثلاثة إلى سبب التفرق والتشرذم بين الشعب العراقي وهو عدم وجود قائد واحد يعتمد عليه الشعب العراقي، فهناك من يطيع هذا وهناك من يطيع ذاك.

٣.١.٣ العراق والدين

يمتدّ الإحساس بالوحدة إلى داخل المجتمع الإنساني الّذي يعيش كلّ أفراده في نطاق الرابطة الإنسانية الّتي تجمع كلّ تنوّعاتهم في وحدة داخلية في وطنهم الّتي يلتقون عليها، وفي دورهم الّذي يتكاملون فيه، ولذلك فلا يمثّل التنوع تباينًا، بل يمثل تكاملًا في الخصوصيات، وهذا هو

الّذي عبّر عنه القرآن الكريم في تأكيده على وحدة عنصر الخلق وتنوّع خصائص الإنسان: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ (الحجرات/١٣) فالتنوع هو الوسيلة الفضلى للتعارف، باعتبار انجذاب الإنسان إلى الإنسان الآخر في حاجاته إليه؛ والشاعر في قصيدته *لا شيعي ولا سنّي* يرسم لوحة الوحدة حيث أصبح الوطن هو عاملًا لزوال التفرقة، فيحاول أنْ يزيل أسباب التفرقة ويتمسك بالوطن وهو الوحيد الّذي يمكنه ايجاد الوحدة والتضامن بين الشعب، حيث يقول:

لا لستُ شيعيّا ولا سنِّي/ فقطِ العراقُ يصيحُ في أذني/لا فرقَ عندي أن أرى عمرا /أو حيدرا في ساعةِ الدفن /ياربِّ حزنٌ في البلادِ وفي/ لونين تأتي دمعةُ الحزن ؟!/ ماضاعَ فوق الأرضِ من وطنٍ / مثلُ الّذي ضيّعتهُ منّي كمةُ اللهِ أنْ يعيشَ سوادٌ /بيننا والّذي يموتُ البياضُ (التميمي، ٢٠١٩: ٥٨)

لايزال العنف والتوتّر بين السنة والشيعة يهدّد استقرار العراق ويندب الشاعر حال الوطن والبلاد من خلال دمعة الحزن. تعود جذور الخلاف الرئيسي بين السنة والشيعة إلى زمن بعيدوعلى مدار التاريخ حدثت العديد من الصدامات بين السنة والشيعة، والعراق كبلد عربي ذو غالبية مسلمة حوالي ٩٧% من السكان. والشاعر هنا يعلن بأنّه ضد الصراع الطائفي والتفرقة الّتي أمرضت العراق وابتلى بها الشيعي والسني، ويرى بأنّ الشيعي والسني يكونان سواسية. يفتخر الشاعر بوطنه، من دون أنْ يفضّل مذهبًا على آخر، كما ينشد بكلّ قوة بأنّه كمواطن عراقي لا يرى الفرق بين الشيعي والسني؛ إنّما الوطن هو أهم شيء عنده وهو الّذي جمعهم حول محور واحد. ويقول قدّر الله أنْ يلبس البلد السواد ويموت البياض وهو تشبيه عن الحزن والأسى على الوطن. غير أنّ هذا التعبير للشاعر ينمو من يأسه؛ ذلك لأنّ الشر لا يسيطر على الخير أبدًا. كما أنّ الشاعر يواصل في قصيدته *لو عاد الرسول* يأتي بمعجم آخر يجعل كلّ الّذين شرّدوا عن محور الدين الحنيف مترادفًا واحدًا:

والدينُ الحنيفُ مشرّدُ /من آخرينَ مضبّبينَ/ وآخرينَ محنّطينَ/ وآخرينَ تهوّدوا/ من ذابحينَ/ وصالبينَ/ ورابحينَ/ وخانعينَ/ وباهتينَ تمجّدوا/ من زمرةٍ عربيةٍ لا أمّةٍ/ عوراتها في كلِّ يومٍ تُجْلَدُ (التميمي، ٢٠١٩: ٥٢)

(مضببين، محنطين، ذابحين، صالبين، رابحين، خانعين، باهتين)؛ فقد جعل الشاعر كلّ هذه المفردات مترادفة في معجمه الشعري ليشير إلى اختلاف الشعب وتفرقهم حيث البعض أصبح اليهود وللبعض أفكار قديمة متجمدة، والبعض يحاولون كسب الأرباح دون الاهتمام بالآخرين، والبعض يعيشون في الذلّ، والبعض يعيشون في أجواء الباطل والبهتان. وهذا ما آل على الاسلام والأمة المسلمة بعد ارتحال الرسول (ص) لم يبقى منه شيئا إلّا اسمه؛ والأمة العربية من كثرة الظلم والتفرق فيها لم تكن أمة بعد، بل أصبحت زمرة عربية فقدت كلّ ملزومات الأمة وعصيرها هو الوحدة. وفي ختام القصيدة يأتي الشاعر بجواب الشرط *لو عاد الرسول محمدًا* قائلًا من لسان الرسول محمد (ص):

لمضى يخاطبُ رَبَّه متضرعًا/ يا ربِّ قل: ماتَ الرسولُ محمّدُ (التميمي، ٢٠١٩: ٥٢)

دالًا على تضرع الرسول لعدم بقاء أمته على دينه الاسلام، حيث ترك الأمة كلّ ما يجب في الدين. فما سالت الدماء إلّا من أجل الحكم والرئاسة، وما اختلف المسلمون إلّا للوصول إلى الرئاسة، وما حدثت الحروب بينهم إلّا طمعًا بها. كما أنّه في قصيدة *نقشٌ على الدهر* يستحضر مريم (ع) والآيات القرآنية محاولًا ايجاد الوحدة بين الشعب:

هزي إليك بِجذعِ النّخلِ مريمتي/ وزلزلي خوفَ هذي الأرضِ أجمعه/ ورتلي آيةَ الكُرسي واشتعلي/ يساقطُ الرطب المعسولَ في لغتي /فإن أمن الدنى في بطنِ آمنة/ في موكبِ النورِ كي أتلو معلقتي (التميمي، ٢٠١٩: ٢٨)

والمتأمل في الأسطر السابقة يجد الشاعر يقيم تناصاً مع قوله تعالى: ﴿وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا﴾ (مريم/ ٢٥) إنّ استحضار حازم التميمي للآية القرآنية تعبير عن رؤية شعرية تحمل قداسة النص الديني من جهة، والثبات على المبادئ والقيم، للتمسك بالوطن والأرض من جهة أخرى، فلابدّ من التمسك بالوطن والأرض الّتي عاش فيها الإنسان، وذلك دليل على الحس الوطني لدى الفرد، فالشاعر يستحضر ولادة عيسى ليدلّ على استمرارية الرسالة، وهو الجيل الجديد الّذي يولد، فكلّه حب لأرضه، كالنخلة الّتي تهتز وتعطي أجمل الثمر، فإنّ الّتمسك بالأرض واللغة شيئان مهما، ففيهما تكتمل وطنية الإنسان، وانتماؤه لذلك الوطن. كما أنّه يأتي بآية الكرسي ليجمع بين المسلم والمسيحي في هذه المقطع، محاولًا إيجاد الوحدة والصداقة بينهما.

٤.١.٣ العراق والحكام

يرى الشاعر أنّ الحكام ورئيس الجمهورية في العراق لم يمثّلوا في يوم من الأيّام الوطنية والحرية، ولم يحملوا همّها، ولا سعوا إلى عزّها، بل حاولوا دائمًا تذليلها لمصالحهم، وهو يعتقد بأنَّ هؤلاء الحكام هم أخطر تركة ترك فوق ظهر الشعوب، والتخلّص من آثارهم يحتاج إلى وقت طويل. هؤلاء الحكَّام لا يملكون من الثّقافة ما يفهمون بها مطالب وآمال شعوبهم، بل لا يعرفون إلّا لغة القتل والتّنكيل والانتقام والشّك، والخوف من كلّ شيء. حيث يقول حازم في قصيدة إلى رئيس جمهورية العراق:

كنْ من تكونُ ولا تكنْ قدّيسا/ فقط الرئيس يصافحُ المرؤوسا/ وكنِ البياضَ على العراقِ وأهلهِ /فلقد مللنا قبلكَ التدليسا/ كنْ ملتقى الأضدادِ لا تكُ مائلا / وكنِ السياسةَ لا تكُ التسييسا /كنْ واحدا منّا ولا تكُ آخرا /منهم ولا تكُ طائرا محبوسا/ كن وجهَ فانوسٍ بمحنةِ ليلِنا /فلقد عجزنا أنْ نرى الفانوسا /وكنِ العصا (عوچيةً) ماسحرُها /إلا ليسندَ عاجزا وجليسا/كنْ طيّبا فأبو اليتامى طيّبٌ/ وكنِ انتماءَ أبوّةٍ محسوسا (التميمي، ٢٠١٩: ٤٩)

يوجّه الشاعر نصائح الى الرئيس العراقي بأنْ يكون متواضعًا وصادقًا مع شعبه وغير منحاز إلى طائفته وأنْ يكون حرًا ينير درب العراقيين وسندًا لهم جميعًا، حاميًا على اليتامى، يمارس الأبوة بحق جميع أبناء شعبه وأنْ يعمل على إعمار بلاده وبناءها. دائمًا هنا الشاعر يأمر الرئيس العراقي بفعل الخير حيث يطلب منه أنْ يداوى داء الشعب وأنْ لا يكون داءً للشعب. يتمنى أنْ يكون الرئيس وحيدًا مثل العراق. القيادة والرئاسة هي القدرة على التأثير في الأفراد لجعلهم يرغبون في أنجاز أهداف الوطن، على الرئيس أنْ يكون حلقة الوصل بين الشعب، وأنْ يعمل على توحيد جهود الشعب نحو تحقيق الأهداف المنشودة.

وفي قصيدته وهم يسخر الشاعر من الرؤساء والقادة العرب حينما يصورون هزائمهم بأنّها إنتصارات. فالأرض مازالت محتلة من قِبَل العدو الّذي لازال يتربص بنا، وكلّ هذا بسبب هؤلاء القادة والرؤساء الّذين لا تهمهم شعوبهم وإنّما عروشهم؛ حيث يقول:

في كلِّ حربٍ نحن ننتصرُ/ لا الأرض عادت لا العدا دحروا /في كلَّ حربٍ كلُّ غايتنا /أن نجمع الأرض الّتي نثروا فليهنأْ الرؤساء أنهم /عاشوا وماتت دونهم بشرُ /يبقى اليهودُ وأنتمُ ولنا /نصرٌ كذوبٌ مفترًى قذرُ (التميمي، ٢٠١٩: ٩)

يقول الشاعر بأنّ القادة يتوهمون بالنصر في الحروب، وإنّ الانتصار هو كان غاية الشعب الّذي يحاول اعادة أرضه ووطنه الّذي نثر وقسّم بين الاعداء، فيستهزء الرؤساء مهنئًا لهم بأنّهم عاشوا وغيرهم من البشر ماتوا، يقول اليهود بقوا وانتم؛ وما بقى لنا هو النصر المتوهم والكذب والقذر.

وفي قصيدة *حلبوك ثورا* يحاول تحريض الشعب ضد الضيم والقهر، كما يدعوهم لعدم الاستسلام أمام الظلم وذلك بالإفادة من تقليل شأن الحكّام عبر الأساليب الفنية مثل الاستفهام، كما يلي:

لا تحنِ ظهرك مرةً اخرى/فلقد مللت الضيمَ والقهرا/ من هؤلاء لكي تخافهمُ / وتظلُّ تجرعُ منهم المرّا/ العار أن تبقى تهادنهم وتبيتُ وحدك تعلك الصبرا/ من هؤلاء؟ وأنت تسكرهم/ بدماك حتّى أدمنوا السكرا/ عشرٌ مضين ونيّفٌ سفها /ما كان أسود فيهم العشرا/ حلبوك ثورا أيُّ مقدرة/ في هؤلاء ليحلبوا الثورا (التميمي، ٢٠١٩: ١٣٢)

فقد استخدم الشاعر في هذه القصيدة الّتي تبدو من عنوانها أنّها سياسة بحتة، أسلوبي الاستفهام والنهي؛ حيث ينهى الوطن بل حكماء الوطن وكباره من طاعة أوامر الأعداء، مشيرًا إلى مللهِ وتعبه في الفترة السابقة الّتي كان الوطن يخضع للعدو. ثمّ يستحقر الأعداء ويذلّ شأنهم باستفهام انكاري يشير إلى عدم وجود شأن للأعداء كي يخضع لهم الشعب. فقد يخاطب زعماء الوطن بأنّه عار عليكم كي تصالحوا مع الأعداء خوفًا منهم، وتجرع المرارة منهم محاولًا الصبر عليهم. ثمّ يكرّر الشاعر سؤاله لماذا أنتم تحاولون سكر الأعداء بشراب دماء أبناء الوطن خوفًا منهم؟ ثمّ يخبر الوطن والحكّام والشعب بمضيء عشر سنة ونيف وهم متورطون في الجهل والسفاهة. ومع أنّ ما كان بين الأعداء أسد شجاع يستحق الخوف منه، ولكنّهم أجبر الشعب منذ تلك السنوات أنْ تحلبوا رغم أنّهم ثور!! والثور لا يمكنه أنْ يحلب. فقد انتشر الشاعر الإنشاء في القصيدة نهيًا واستفهامًا محاولًا أنْ يبعد الوطن والحكّام والشعب عن طاعة الأعداء والخوف منهم.

والشاعر في قصيدته *عيد المساكين* فقد يخبر عن آهات المساكين في العيد حتّى لم يبق شيئًا من العيد مادام يدور أمور الشعب على أيدي الّذين لا علم لهم بالسياسة:

أغربل العيد والأوهام غربالُ / لم يبق عينٌ ولا ياءٌ ولا دالُ / عيد المساكين آهات وأدعية/ مادام ساس أمور الناس أنذال (التميمي، ٢٠١٩: ١٤)

يخبر الشاعر عن تفحصه للعيد وكيفية حياة الشعب فيه، فلم يبق شيئًا من العيد إلّا آهات وأدعية، فالشعب يعيشون في أجواء العيد بين اليأس والرجاء، العيد الّذي لم يبق منه حتّى "ع" و"ياء" و"د". فقد قسّم الشاعر كلمة "عيد" حرفًا حرفًا ليشير به إلى شدّة حالة الشعب الحزينة وانكسارهم. وهذه الأجواء موجودة مادام يترأس الشعب الأنذال الّذين لا علم لهم بالسياسة وإدراة البلد.

٤. النتائج

عولج الوطن في ديوان *الأحرف المشبهة بالمطر* للشاعر العراقي حازم رشك التميمي؛ الّذي يتضمن ٧٣ قصيدة، ومنها ٢٥ قصيدة تتعلق بالقضايا السياسية؛ ومن هذه القصائد تمّت دراسة ١٥ قصيدة برز فيها مربع الوطن العراقي بأضلاعه الأربعة. وقد حقّقت هذه الدراسة عدّة نتائج نشير إليها باختصار: إنّ الموتيف يعني الفكرة الرئيسة أو الموضوع الّذي يتكرّر في العمل الأدبي؛ والوطن يعدّ من أبرز الموتيفات والحقول الدلالية الّتي وردت بكثافة في شعر حازم رشك التميمي؛ حيث يجد القارئ لتجربة الشاعر الشعرية نزوعه المكثف نحو الوطن. فقد اتخذ حازم رشك من موتيف الوطن أداةً جماليةً تخدم مواضيعه الشعرية وتبرز الأبعاد الاجتماعية والسياسية للقضية العراقية، وإلحاح الشاعر على وجود هذه الأضلاع الأربعة يدلّ على استغراقه في فكرة الوطن، والهدف هو نقل مشاعره تجاه الوطن بكل ما فيه من المدن والشعب والدين والحكام إلى المتلقي.

فقد حاول الشاعر في الضلع الأول تقديم الوطن وما آل إليه من الحرمان والمصائب بالتعبير عن العراق وعاصمته البغداد وبعض المدن الرئيسة فيه مثل البصرة وذي قار مستخدمًا الرموز الشعرية لبيان محورية الوطن في أشعاره. أمّا الضلع الثاني وهو الضلع الأساسي أي

الشعب، فقد قدّمه الشاعر عبر آهاته وتنهداته، حيث يعلن بأنّ أبناء الشعب هم الّذين أضاعوا الوطن ولم يألوا جهدًا لعلو شأنه. وفي الضلع الثالث أي الدين، يشير الشاعر إلى سبب الفرقة بين الشعب العراقي، وهو خداع الاستكبار لإيجاد التفرقة بين الشعب العراقي المسلم، فالشاعر يبرئ نفسه من السنة والشيعة ويعتبر نفسه عراقيًا محاولًا أنْ يبعد الشعب عن النزاع الديني. وفي الضلع الأخير وهو الحكام؛ يخاطب الشاعر رئيس الجمهورية والحكام ويوصيهم بالكف عن ظلم الشعب ومراعاة حقوقهم، يطالب من الرئيس أنْ يكون دفئًا في شتاء الحياة العراقية وملتقىً للأضداد دون أنْ يكون مائلًا وعامل الفرقة بين الناس.

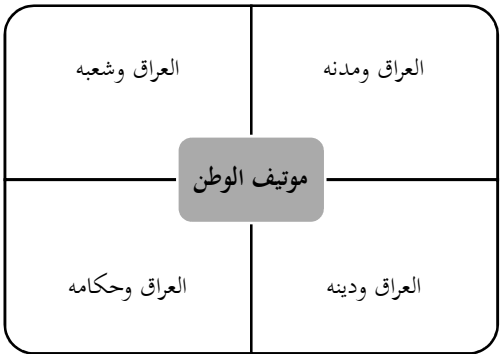

الهوامش

١. الكرادة هي أحد أحياء بغداد المشهورة وتقع على الجانب الشرقي لنهر دجلة المسمى جانب الرصافة من بغداد.

المصادر والمراجع

الكتب العربية

القرآن الكريم.

إسماعيل، عزالدين (١٩٧٢م). الشعر العربي المعاصر؛ قضاياه و ظواهره الفنية و المعنوية، ط٢، بيروت: دار الثقافة.

أنيس، إبراهيم (١٩٧٨م). موسيقى الشعر، ط٥، القاهرة: مكتبة الانجلو المصرية.

التميمي، حازم رشك (٢٠١٩م). الأحرف المشبهة بالمطر، مصر: مؤسسة صهيل للطباعة والنشر.

ربابعة، موسى سامح (٢٠١١م).آليات التأويل السيميائي، ط١، الكويت: آفاق النشر والتوزيع.

شبلنر، برند (١٩٩١م). علم اللغة والدراسات الأدبية؛ دراسة الأسلوب، البلاغة، علم اللغة النصي، الترجمة: محمود جاب الرب، ط١، القاهرة: الدار الفنية.

العطار، سليمان عبدالعظيم (٢٠١٠م) . الموتيف في الأدب الشعبي والفردي، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

طه، المتوكل (٢٠٠٤م). حدائق ابراهيم، ط١، بيروت: الموسسة العربية للدراسات والنشر.

الملائكة، نازك (١٩٨٩م). قضايا الشعر المعاصر، ط٩، بيروت: منشورات دارالعلم للملايين.

الرسائل العلمية

حاشوش خويط، وسام (٢٠١٥م). **حازم رشك التميمي شعره وحياته**، رسالة الماجستير في اللغة العربية وآدابها، الأردن: جامعة مؤتة.

المقالات

آباد، مرضية، ورسول بلاوي (١٣٩٢ش) «موتيف النهر والبحر في شعر يحيى السماوي» **مجلة العلوم الإنسانية الدولية المحكّمة**، السنة ٢٠، العدد ١، (صص ١-١٨)

بلاوي، رسول، ومرضيه آباد، وعباس طالب زاده، وعباس عرب، (٢٠١٢م) «موتيف الاغتراب في شعر يحيى السماوي»، **مجلة العلوم الإنسانية**، طهران: العدد ١٩، (صص ٧٧-٩٤).

تقوي، محمد، وإلهام دهقان(١٣٨٨ش) «موتيف چيست وچگونه شكل می گيرد» **فصلية نقد ادبی**، العدد ٨، (صص٣٢-٧)

دهقان، الهام(١٣٩٠ش) «موتيف و گونه ها و كاركردهای آن در آثار داستانی صادق هدايت» **فصلية نقد أدبي**، العدد ١٣، (صص ٩١ — ١١٥)

ربابعة، موسى سامح (١٩٨٨م) «الموتيف في الشعر الجاهلي،» **مجلة مؤتة للبحوث والدراسات**، جامعة مؤتة، المجلد الخامس، العدد الأول، (صص ٤-٢٨)

روشنفكر، كبرى و حامد بورحشمتي(١٣٩٤ش). «موتيف النخلة والزيتونة في شعر سميح القاسم»، **مجلة إضاءات نقدية**، السنة ٥، العدد ٢٠، (صص ٩٧-١١٨).

الشامي، حسن (٢٠٠٧م). «مفاهيم أساسية في دراسة الموروث الشعبي الشفهي»، **مجلة الخطاب الثقافي**، العدد الثاني، (صص ٦-٥٩).

عموري، نعيم (٢٠١٥م). «موتيف الإمام حسين (ع) في شعر فاروق جويدة»، مجلة **مركز دراسات الكوفة**، السنة ٣، العدد ٣٧، (صص ١٣٣-١٥٤)

عموري، نعيم (١٤٣٦هـ). «موتيف الموت والحياة في شعر أديب كمال الدين»، **مجلة اللغة العربية وآدابها**، السنة ١٠، العدد٤، (صص ٥٨٧-٦٠١).

المنصور، زهير أحمد (١٤٢١ق). «ظاهرة التكرار في شعر أبى القاسم الشابي؛ دراسة أسلوبية»، **مجلة جامعة أمّ القرى**، السنة ٣، العدد ٥، (صص ١٢٨-١٥٢)